إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الثانية عشرة، العدد السادس والأربعون ـ صيف ١٤٠١ش / حزيران ٢٠٢٢م
DOR: 20.1001.1.22516573.2022.12.46.4.8
صص ١٠٣ ـ ٧٧

النموذج الأولى للكائنات الشيطانية فى ديوان إقبال اللاهورى الفارسى (تحليل أسطورى بناءً على نظرية يونغ)

جواد خلج*
نسترن صفارى (الكاتبة المسؤولة)**

الملخص

العلامة إقبال اللاهورى مفكّر وفيلسوف معاصر. يمثل الجزء الرئيس من ديوانه الفارسى أفكاره وآراءه ولقد انعكست أفكاره فى ديوانه بشكل جلى، وبما أن هذه القصائد كتبت فى الغالب من وجهة نظر فلسفية وصوفية وتركزت على رؤيته للإنسان المثالى أو الكامل، لذلك لم يتم دراسة هذه القصائد من زاوية المنهج الأسطورى الأصلى أو توظيف النماذج الأولية من قبل الباحثين. يسعى هذا البحث، باستخدام أسلوب النقد والتحليل النصى، إلى التحليل الوظيفى فى خلق المعانى والدلالات للكائنات الشيطانية فى هذه القصائد بناءً على نظرية يونغ. النقطة المشتركة بين وجهة نظر يونغ النفسية ونظرة إقبال اللاهورى الفلسفية الصوفية، هى العلاقة بين نمطى "الذات" و"الظل" فى ضمير اللاوعى الجماعى مع العقل الواعى من خلال عملية التفرد والذاتية. فى هذا البحث يتم دراسة العلاقة بين النماذج الأصلية بعملية التفرد من خلال تحليل جذور هذه النماذج البدائية فى العقل اللاواعى الفردى والعقل اللاواعى الجماعى وفى البنية النفسية للإنسان، وتقدم أمثلة عديدة عليها. توصل هذا البحث إلى العلاقة المهمة بين النموذج الأصلى للظل أو النصف المظلم والسمات البغيضة لشخصيتنا مع الكائنات الشيطانية وإبليس والتنانين والعفاريت وكل ما هو مشمئز لنا.

الكلمات الدليلية: إقبال اللاهورى، نظرية يونغ، الأسطورة، الظل، الشيطان، التنين، العفريت.

---

*. طالب دكتوراه فى اللغة الفارسية وآدابها، فرع كرج، **جامعة آزاد الإسلامية**، كرج، إيران
. أستاذة مساعدة فى اللغة الفارسية وآدابها، فرع كرج، **جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران
safarinastaran@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ١٤٤٣/٠٩/٢٨ق تاريخ القبول: ١٤٤٤/٠٢/٢٢ق

المقدمة

العلامة محمد إقبال اللاهورى فيلسوف وعالم معاصر استخدم لغة الشعر الغامضة لنقل مفاهيم صوفية وفلسفية عظيمة ومن خلال تقوية الحركة العقلانية للعالم الإسلامى، مهّد الطريق للحوار والتفاعل بين الأمم. هذا المفكر العظيم، بإتقانه الذى لا يوصف للأساطير الهندية والإيرانية إلى جانب التوظيف الدلالى، يؤسس علاقة وثيقة بين الإنسان والعالم بداخله وخارجه من أجل أن يوصله إلى الوحدة والفردية من خلال توحيد ودمج العقل الواعى بالعقل اللاواعى الفردى. يقدم هذا الشاعر الشهير الإنسان فى أشعاره على أنه حفنة من الغبار يسجد أمامه الملاك، ويطلب من هذا المخلوق الثمين أن يكشف السر الخافى فى الوجود الذى يمثل الغرض من خلق الإنسان. يصوّر بشكل جميل وبكلمات غامضة أسطورة الخلق فى الحوار بين الماء والأرض ويذكره بهدف خلق الإنسان ومكانته فى الكون، وينقل رغبات واهتمامات الإنسان المعاصر من العقل الباطن للفرد للعقل الواعى. ويمهد الطريق للعودة والبعث.

صورة المسألة

من خلال دراسة قصائد إقبال واستخدامه للأساطير والنماذج الإيرانية القديمة، من أجل تلطيف الموضوعات الفلسفية والصوفية، ومن ناحية أخرى، تركيزه على معرفة الذات وشرح الإنسان المثالى، تم إنشاء هذه العقلية لدى الباحثين أنه يمكن من خلال تحليل قصائد إقبال، ربط الدلالات بين مفهوم الظل فى نظرية يونغ من جهة والكائنات الشيطانية فى الأساطير من جهة أخرى، ومن وجهة النظر هذه، تمت دراسة ديوان العلامة إقبال اللاهورى.

أسئلة البحث

نعتزم من خلال هذا البحث الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما هى الشخصيات السلبية المشتركة والمنسجمة فى النص بين الأساطير والنماذج البدائية أو الأصلية فى ديوان إقبال اللاهورى؟

٢. هل من الممكن إيجاد علاقة هادفة بين النموذج الأصلى لـ"الظل" فى نظرية يونغ والكائنات الشيطانية فى الأساطير التى استخدمها العلامة إقبال اللاهورى؟
٣. بما أن الأساطير لها بنية مشابهة للعقل البشرى (نظرية ليفى شتراوس)، فى أى جزء من بنية العقل البشرى يمكن وضع الكائنات الشيطانية؟
٤. وفقاً لنظرية يونغ، هل يمكن أن تمثل الشخصيات الشيطانية جزءاً من محتويات العقل اللاواعى الجماعى لجميع البشر؟

فرضيات البحث

١. اختار العلامة إقبال اللاهورى شخصيات سلبية مثل الشيطان وإبليس والتنين والعفريت من الأساطير والنماذج البدائية فى قصائده حتى تكون مألوفة ومعروفة للبشرية.
٢. النموذج الأصلى للظل هو السمات البغيضة التى نتجنبها ولا نريد مواجهتها، ومن وجهة النظر هذه، لها علاقة هادفة وبنّاءة مع الكائنات السيئة والقبيحة والحقيرة، وعادة ما تكون الظلال فى النص الكلاسيكى هى الشيطان أو إبليس وفى الأفلام تظهر كشخصيات سلبية مثل الساحرات أو البطل الضد.
٣. وفقاً لنظرية ليفى شتراوس، تمتلك الأساطير بنية مشابهة للعقل البشرى. إذا اتخذنا بنية العقل وفقاً لـ"النموذج الطبوغرافى للعقل" على ثلاثة أجزاء من الوعى، ما قبل الوعى واللاوعى، ستكون الكائنات الشيطانية جزءاً من العقل الباطن أو اللاوعى ويمكننا إعادتها إلى منطقة الظلام فى أذهاننا.
٤. وفقاً لنظرية يونغ فإن لبنية النفس البشرية الضمير الواعى، واللاوعى الفردى واللاوعى الجمعى حيث يكون النموذج الأصلى لـ"الظل" والنموذج الأصلى "للذات" والنموذج الأصلى لـ"الأنيما والأنيموس" فى اللاوعى الجمعى. والشخصيات الشريرة جزء من النموذج الأصلى لـ"الظل".

خلفية البحث

هناك دراسات وأبحاث عديدة أنجزت حول ديوان العلامة إقبال اللاهورى، منها

مقالة عنوانها «بررسی اساطير خدايان در شعر علامه اقبال» (دراسة أساطير الآلهة فی قصائد إقبال) (شهبازی، ١٣٩٥ش)، مقال «اقبال لاهوری و شيطان» (إقبال اللاهوری والشيطان) (مقيسة: ١٣٩٥ش) و«تقابل های معنايی در اشعار اقبال لاهوری» (التناقضات الدلالية فی قصائد إقبال) (فاضلی، ١٣٩٢ش) أطروحة عنوانها «عناصر اساطيری و حماسی در شعر شاعران برجسته مشروطه» (العناصر الأسطورية والملحمية فی شعر شعراء الدستورية البارزين) (عباس زاده، ١٣٨٩ش) وأطروحة ماجستير لكاتب المقال «اسطوره و عناصر كهن در اشعار علامه اقبال لاهوری» (الأساطير والعناصر القديمة فی قصائد العلامة إقبال اللاهوری) (خلج، ١٣٩٧ش وأيضاً «بررسی شخصيت های اساطيری، تاريخی و دينی در ديوان اقبال لاهوری» (دراسة الشخصيات الأسطورية والتاريخية والدينية فی ديوان إقبال اللاهوری) (عيسی زادگان، ١٣٩٩ش) وهذه الأطروحة ليست سوى إعادة سرد لشخصيات أسطورية وتاريخية ودينية. وبالتالی لم يتم إجراء تحليل أسطوری للنموذج الأصلی يركز على نظرية يونغ، وفی هذا الصدد، تعتبر هذه المقالة عملاً جديداً من نوعه. الغرض من هذه الدراسة هو الكشف عن نقاط مشتركة بين رؤية إقبال اللاهوری لشخصية الإنسان ومعتقداته الأسطورية مع يونغ ونظرياته النفسية التی تستكشف العقل البشری.

محمد إقبال اللاهوری[١]

مولانا إقبال، هو عبقری فی الثقافة واللغة والأدب الفارسی، وهو شخصية ذات أبعاد مختلفة، كل منها بمفردها يمكن أن تكون مصدر شهرة من الشخصيات التاريخية. يمكن اعتبار إقبال ذا ١٢ شخصية مستقلة، أی فيلسوف وشاعر ومصلح ومعلّم وعالم اجتماع، مؤسس وطنی مستقل، فقيه، عالم فی العلوم القرآنية، عالم فی الشؤون الإيرانية، لغوی، مؤرخ وعالم إسلامی. (بقائی، ١٣٨٥ش: ١١)

تركز الفكرة الكاملة لفلسفة إقبال الإنسانية على "الذات" وفی "اسرار خودی" (أسرار الذات) للمثنوی، يسرد مسار التطور والتنامی للإنسان. كتب "أسرار ورموز"

١. . (محمد اقبال لاهوری ١٣٣٣-١٣١١/ Iqbal)، mohammad

و "زبور عجم" و "رسالة المشرق" و"جاويدنامه" و "پس چه بايد كرد ای قوم مشرق" (ماذا يجب فعله يا أهل المشرق) و "المسافر" و "هدايا من حجاز" كلها فی كتاب عنوانه "مجموعة الأشعار الفارسية للعلامة إقبال اللاهوری". وقد اعتمد هذا البحث فی استناده للأبيات على هذا الكتاب.

نظرية يونغ

كارل غوستار يونغ[1]، طبيب نفسی ومحلل نفسانی سويسری عمل مع أستاذه فرويد لمدة سبع سنوات. «القاسم المشترک بين يونغ وأستاذه فرويد، هو الإيمان بوجود العقل اللاواعی وتأثيره المحدد على السلوک الفردی. وأما الاختلاف الرئيس بين وجهات نظر "يونغ" و"فرويد" فهو أن فرويد يعتقد أن العقل اللاواعی لكل شخص هو مختص لذلک الشخص فحسب، ويختلف عن العقل اللاواعی للآخرين. ولكن يونغ توصل بدوره من خلال دراسة المصادر الثقافية أن بعض جوانب هذا العقل اللاواعی مشتركة بين جميع البشر. اعتبر فرويد أن النفس لديها هذه الطبقات الثلاث،"العقل اللاواعی، "ضمير ما قبل الوعی" و"العقل اللاواعی". يعتقد يونغ أيضا أن هناک ثلاث نفسية للبشر. وبحذفه لـ"ضمير ما قبل الوعی"، كان يؤمن بمكوّن آخر يسمی "الضمير اللاواعی الجماعی" فی بنية العقل البشری.» (پاينده، ١٣٩٩ش: ٣١٠) تم تخزين الذكريات القديمة والعرقية للبشرية ونقلها فی العقل اللاواعی الجماعی عبر أجيال عديدة من البشر البدائيين إلى البشر المعاصرين وتظهر فی شكل الأساطير والنماذج البدائية والطقوس الجماعية للبشر. وكمثال، يمكننا أن نذكر أسطورة الخلق، وأسطورة نهاية العالم، ونموذج الظل الأصلی.

الظل

«يشكل "الظل" الجزء الخفی من شخصية الإنسان والذی يعتبر فی سيكولوجية يونغ اللاوعی العرقی أو الجماعی، وهو فی الأساس الجزء الداخلی والمخفی ونصف المظلم من الشخصية وهو غير متوافق مع العقل الواعی. يقول يونغ: الظل مخفی ومكبوت بسبب أنه أعمق جزء فی الشخصية وأكثره ذنباً، وتصل جذوره حتى إلى عالم حياة أسلافنا

1. Carl Gustav Jung

من الحيوانات، وبالتالى فهو يشمل جميع جوانب اللاوعى التاريخى. الظل هو مصدر كل الذنوب والمعاصى والجزء المسؤول عن الخطيئات والذنوب. اللاوعى الإنسانى هو ظله، والجزء المظلم من اللاوعى والجزء العميق وطبقته الكريهة التى نريد سحقها وتشويهها ..... فى أدبنا الصوفى، يشار إليه على أنه شيطان النفس» (شميسا، ١٣٨٣ش: ٧١-٧٣)، بمعنى آخر، وفقاً لـ رأى يونغ «الظل هو كل الأشياء التى نخجل منها. كل الأشياء التى لا نريد أن نعرفها عن أنفسنا. لذلك، كلما كان المجتمع الذى نعيش فيه أكثر تعصباً وتقييداً، كلما اتسع ظلنا على أثره.» (فرودهام، ١٣٤٦ش: ٩٣)

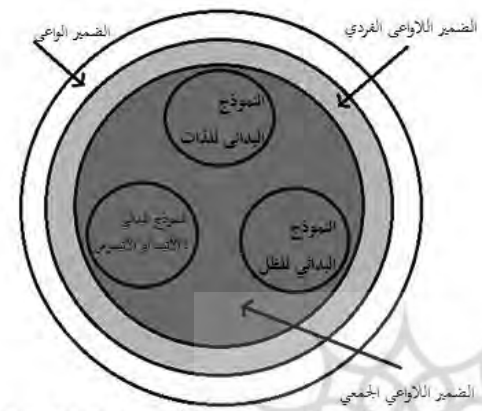

الشكل ١- بنية نفسية الإنسان وفقاً لنظرية يونغ التحليلية النفسية

الأسطورة

«الأسطورة فعل مشتق من الكلمة اليونانية هيستوريا[1] والتى تعنى "البحث والمعرفة والقصة". للتعبير عن مفهوم الأسطورة فى اللغات الأروبية، يتم استخدام بقايا الكلمة اليونانية ميتوث[2] وباللغة الإنجليزية ميث[3]، والتى تعنى "الوصف والأخبار والقصة"... يجب اعتبار الأسطورة قصة أو تدوين أحداث (ما وراء العالم المادى) التى يكون أصلها غير معروف عادة وهو وصف لعمل أو معتقد أو مؤسسة أو ظاهرة طبيعية فى شكل الماورائى، على الأقل جزء منها مأخوذ من التقاليد و ترتبط بالروايات والطقوس والمعتقدات الدينية ارتباطاً وثيقاً، ففى الأسطورة تُروى الأحداث المتعلقة بالعصور الأولى.» (آموزگار، ١٣٩٧ش: ٣-٤)

وفقاً لتعريف الأسطورة، كان يونغ يعتقد أن الأحلام والقيم والمخاوف والمثل العليا

1. historyia
2. Mytose
3. Myth

لکل شـعب وأمة تروی من خلال أساطیرها. الأسـطورة هی التعبیر العلنی عن أعمق التجارب النفسیة للإنسان. (پاینده، ۱۳۹۹ش: ۳۱٤)

البحث والدراسة

وفقاً لوجهة نظر یونغ، من أجل تشکیل عملیة التفرد، یجب علی الشخص أن یسیطر علی عقله اللاواعی کالعقل الواعی تماماً، و تکون عناصر شـخصیة الفرد متکاملة. فی الواقع، یتحد العقل الواعی والمدرک للعالم المحیط مع العقل اللاواعی المنبوذ إلی الوراء. «إذا أردنا تفسـیر الرسـالة التی تعرض لنا رمزاً من اللاوعی، فـإن المعرفة التاریخیة للرمزیـة الدینیة، وکذلک معرفة الفلسـفة والتعبیر عن الأسـطورة، أمور ضروریة. فی عملیة الفردانیة أو التفرد، تتمثل الرموز المهمة الرئیسـة فی إظهار مکاشـفة الإنسـان ومشـاهدته لعلاقته بالعالم والإلـه.» (مورینـو، ۱۳۹۷ش: ٤۱) إن طریقة الوصول إلی نظرة یونغ هذه فی فکر الشـاعر هی فی معرفة "الذات" ولهذا یصور العالم بصورة جمیلة من خلال نظرة الإنسـان. ویذکر المکانة النبیلة للإنسـان بأنه أشرف المخلوقات والعالم بدونه لا معنی له وغیر مکتمل، فهو یسـعی فی دیوانه إلی إقامة العلاقة بین الإنسـان والکون والإله من خلال تذکر المشـاهدة، وهو ما یتوافق تماماً مع وجهات نظر "یونغ" و"مورینو"[1]:

این جهان چیست؟ صنمخانهی پندار من است
جلـوه ی او گـروی دیدهـی بیدار من اسـت
همـه آفـاق کـه گـیرم بـه نگاهـی او را
حلقهای هسـت که از گردش پرگار من اسـت
هسـتی و نیسـتی از دیـدن و نادیـدن مـن
چه زمان و چه مکان، شـوخی افکار من است
از فسون کاری دل، سیر و سکون، غیب و حضور
این که غماز و گشـایندهی اسـرار من اسـت

1. Moreno, Antonio

آن جهانــی کــه در او کاشــته را می‌درونــد
نــور و نارش همه از ســبحه و زنار من اســت
ســاز تقدیــرم و صــد نغمهــی پنهــان دارم
هر کجا زخمهی اندیشــه رســد تار من اســت
ای من از فیض تو پاینده نشــان تو کجاســت
ایــن دو گیتی اثر ماســت جهان تو کجاســت
(إقبال، ١٣٩٠ش: ١٩٧)

– ما هذا العالم ســوی معبد أصنام تصورها مخیلتی ولا یتحقق تجلیه إلا فی نظرتی الواعیة.

– کل الآفاق التی أنظر إلیها هی عبارة عن دائرة یرسمها فرجاری.

– إن الوجــود وعدم الوجود مــن رؤیتی أو عدم رؤیتی، بغض النظر عن الزمان أو المکان، هو عبارة عن مزحة تنتجها أفکاری.

– من حیلة القلب الســیر والســلوک والســکون، والغیب والحضور وهو کاشــف أسراری وفاضح أمری.

– فی ذلک العالم الذی یحصدون فیه ما زرعوه، إنما نوره وناره من مسبحتی وزناری.

– أنا مَن مصیره بیدی ولدی مئات الأســرار کالأنغام مســتورة وأی مضراب فکرة هی من وتری.

– أین أنت یا من أنا من وجوده دائم، هذان العالمان من آثارنا فأین عالمک أنت؟

فی المقطع الأول، اســتخدم الشــاعر الإضافة التشــبیهیة "صنمخانــه پندار" (معبد المخیلة) وکلمة "پندار" بمعنی الخیال ترتبط عادةً باللاوعی، وفی المقطع الثانی من نفس البیت التی اســتخدمها بتعبیر "النظرة الواعیة" فهــی مرتبطة بالعقل الواعی. فی المقطع الثانی، یستحضر مفهوم أن العالم الکبیر یدور حول نقطة الفرجار الذی یمثل عالم وجودی الصغیر، وبعبارة أخری، أنا الإنسان، أمثل المحور الوجودی للخلق. وفی الأبیات التالیة، یظهر أیضاً الغیب والحضور، وهو رمز العقل الواعی واللاواعی، ویعتبرهما مظهرین من مظاهر القلب الســاحر الذی یســطر علی کل شیء بما فی ذلک الغیب والحضور. تشیر

المئات من الأنغـام المخفية إلى الطبقات المخفية للاوعى االفـردى، والتى أينما تغلغلَ الفكر حتى فى أكثر الطبقات الخفية فى شخصيتى، فأنا المدرِكُ ما زلت حاضراً، وكتعبير عن سيطرة "الذات"، فإنه يتحدث عن اللاوعى الفردى.

من وجهة نظر إقبال وسهروردى، حقق البشر من بين الكائنات الحية أعلى مستوى مـن الفرديـة (معرفة الذات) وهو أكثر معرفة بحقيقة نفسـه بالنسـبة لجميع المخلوقات الأخـرى، وهذا يرجع إلى معرفة ذاتـه وعلمه بذاته وجوهره. (بقايى، ۱۳۸۵ش: ۹۲-۹۳) فى جاويدنامة، يذكر إقبال فى أبيات أن معرفة الإنسان لنفسه، وهى معرفة الذات، هى مقدمة لمعرفة الخالق، وهو ما يتوافق مع عملية التفرد عند يونغ، والنتيجة هى تحقيق الوحدة:

شـاهد اول، شـعور خويشتن　　خويشتن را ديدن به نور خويشتن
شـاهد ثانى، شـعور ديگرى　　خويشتن را ديدن به نور ديگرى
شـاهد ثالث، شعور ذات حق　　خويشتن را ديدن به نور ذات حق

(إقبال، ۱۳۹۰ش: ۳۵۲)

- الشاهد الأول هو الوعى بالذات، رؤية الذات فى نور الذات.
- الشاهد الثانى هو وعى آخر يرى نفسه فى نور الآخرين.
- الشـاهد الثالث هو الوعى بذات الحق (جوهـر الحقيقية) ورؤية ذات المرء بنور ذات الحق.

لا يمكن السير والسلوك فى العالم الداخلى من تلقاء نفسه، ويتطلب ذلك الحضور. الخطـوة الأولى فى معرفة الذات هى أن تكون فى حضور الشـيخ العارف أو المرشـد (النموذج الأصلى للشيخ العارف) فى الواقع، «التفرد هو سلوك خطير، وهذه الخطورة تأتـى من قوة النمـوذج الأولى، خاصة عندمـا يفترض أن يتم اسـتيعابه فى الوعى. عندما نتعامل مع اللاوعى، يجب أن نأخذ بشـدة جانب الحيطة والحذر، لأن الوعى مثل حقل خصب معرّض للفيضان الهائج يسـبّبه سـد مكسور، وإذا كان الوعى ضعيفاً، فإن اللاوعـى يبتلع الأنا (الـذات)[1] وينتج عنه تورم مرضى. وهو أمـر خطير جداً ...يقول

1. Ego

يونغ إن هذا هو السبب فی أن ساحر القبلية كان دائماً كاهناً، لأنه ليس منقذ الروح فحسب، بل منقذ الجسد أيضاً، والأديان هی فی الواقع أنظمة لعلاج الأمراض العقلية.» (مورينو،١٣٩٧ش: ٣٧-٣٨) يجب على الشخص الذی يخاطبه الشاعر أن يتعرف على نماذج الظل والأنيما والأنيموس بداخله بتوجيه من ذلک المرشد من أجل تحقيق المعرفة المنشودة عن ذاته. ومن أجل أن يسير فی هذا الطريق، أصغی إقبال إلى كلمات وإرشادات الشيخ العارف (المرشد) ومريده محمد الرومی، وقد استكشف الظلال فی داخله وتعرف عليها واحداً تلو الآخر بل وتجاوزها. الإنسان المعاصر أيضاً، لا يمكن السلوک فی هذا الطريق دون دعم من الشيخ العارف، يقول الشاعر حافظ الشيرازی:

قطع این مرحله بی همرهی خضر مکن ظلماتست بترس از خطر گمراهی

(حافظ، ١٣٩٥ش: ٤٨٩)

- لا تسلک هذا الطريق وحيداً دون مرافقة الخضر (المرشد)، فهناک ظلمات وعليک أن تخاف من خطر الضلال.

فی جاويدنامه، وصل إقبال برفقة المرشد البلخی، إلى كوكب الزهرة حيث تجمع الآلهة القديمة، وفی الواقع، الآلهة القديمة هی نفس الأصنام التی كسرها النبی إبراهيم (عليه السلام)، وفی نقد يونغ النموذجی، هذه الأصنام هی نفس الشخصيات المظلمة والشريرة فی النفس والتی تفصل الناس عن النور وتأسرهم عند الطاغوت (الشيطان) وتعرّضهم للفساد والدمار. يشير إقبال إلى سحر الغرب والأصنام المعاصرة بإحضاره رمز "زمن بدون خليل" و "يعيش المستشرق" على لسان الصنم بعل:

رومی از احوال جان من خبير گفت: می‌خواهی دگر عالم بگير
عشقِ شاطر ما به دستش مهرهايم پيش بنگر در سواد زهرهايم...
با نگاه پرده سوز و پرده در از درون ميغ و ماغ او گذر
اندرو بينی خدايان كهن می‌شناسم من همه را تن به تن
بعل و مردوخ و يعوق و نسر و فسر رم‌خن ولات ومنات وعسر وغسر
بر قيام خويش می‌آرد دليل از مزاج "اين زمان بی خليل"...
آدم اين نيلی تتق را بر درید آن سوی گردون خدايی را ندید...

زنده باد "افرنگی مشرق شناس" آنکه ما را از لحد بیرون کشید...
اهرمن را زنده کرد افسون غرب روز یزدان زرد رو از بیم شب
(إقبال، ۱۳۹۰ش: ۳۸۵-۳۸۷)

- قال الرومی وهو یعلم بحالی: هل ترید أن تأخذ عالما آخر.
- نحن جوهرة فی ید الحب الذکی، تطلع إلی معرفتنا بسواد الزهرة.
- بنظرة ثاقبة تجاوز الطریق من بین سحابه وغیومه.
- تری فی وجوده، الآلهة القدیمة، وأعرفهم جمیعاً واحداً تلو الآخر.
- وهی بعل ومردوخ ویعوق ونسر وفسر، رم خن ولات ومنات وعسر وغسر...
- ویأتی بحجة لقیامه من ظروف "زمن بلا خلیل"...
- وقد خرق آدم السماء الزرقاء ولم یر الجانب الآخر من السماء الإلهی..
- عاش "المستشرق" الذی أخرجنا من اللحد ...
- إن سحر الغرب ومکره أحیا الشیطان، ویوم الإله شاحب اللون من فزع اللیل.

فی الواقع، «یمثل الظل فی الأحلام شخصاً متدنیاً وبسیطًا للغایة، شخصاً بصفات غیر مرغوب فیها أو شخصاً غیر محبوب.» (فرودهام، ۱۳٤٦ش: ۹۳) وقد صوّر إقبال هذا المخلوق غیر المحبوب فی قصائده بتعابیر وکلمات تحدّث فیها عن مخلوقات شریرة وخبیثة مثل الشیطان والعفریت، إلخ.

وفقاً لمعتقدات الفرس، فإن أهورا مزدا هو إله صالح فی الأفستا، وفی مقابله، الحکمة الخبیثة أو أهریمن. هذه الکلمة، جاء بالفارسیة کأصل الشر والقبح، بأسماء مختلفة: الأهریمن، أهرمن، هرمن، آهرمن، أهرن، آهرامن وهریمه والخ. (یاحقی، ۱۳۹۸ش: ۱۷۵-۱۷٦) خلال دراستنا لدیوان العلامة إقبال اللاهوری، لاحظنا أن المخلوقات الشریرة التی هی رمز للعقل اللاواعی والنصف المظلم من عقل الإنسان، تتفق مع الألقاب الأسطوریة وقد استخدام إقبال الأهریمن (الشیطان) وإبلیس وما إلی ذلک کثیراً.

الأهریمن (مظهر الشر والفساد)

الأهریمن فی الفارسیة الوسطی هو ahrēman وفی "الأفستا" هو aŋra.mainyu. تعنی

الأهريمن الروح المقاتلة والعدو. وهو رئيس الديوان وكبيرها وأكبر عدو لأورمزد. فی الأفستا المتأخرة هو "ديوان الشيطان" ... عالمه مظلم، وهو خالق كل ما هو عدو لخلق هورمزد. يخلق الضحاک وينقل المرض للناس. الجهل والضرر والاضطراب هی من خصائص الأهريمن (الشيطان). ويخلق الأهريمن الموت، وبدلاً من الصحة، يخلق المرض، وبدلاً من الجمال، يخلق القبح. كل أمراض الناس سببها الشيطان. (قلی زاده، ١٣٩٢ش: ١٠٥) لأنه يأتی من معنی الأهريمن (الحكمة الخبيثة)، فهو تجسيد لجميع الصفات السيئة وكل اعوجاج ونقص. وهذا المخلوق الخبيث هو نقيض الحكمة الصالحة أو المقدسة. الآن، فی ظل تحليل قصائد إقبال ونقدها، يجب اتباع الخصائص المذكورة بدقة. حيث تحدّث هذا المفكّر المقتدر عن طبيعة الشيطان وإغوائه فی عدة أبيات، بل وصوّر المحادثة بين الشيطان وزردشت على لسان الشيطان:

از تو مخلوقات من نالان چو نی — از تو ما را فروردين مانند دی
در جهان خوار و زبونم كردهای — نقش خودرنگين زخونم كردهای...
تكيه بر ميثاق يزدان ابلهی ست — بر مرادش راه رفتن گمرهی است
زهرها در باده گلفام اوست — اره و كرم و صليب انعام اوست
جز دعاها نوح تدبيری نداشت — حرف آن بيچاره تاثيری نداشت...
تا نبوت از ولايت كمتر است — عشق را پيغمبری دردسر است

(إقبال، ١٣٩٠ش: ٣٦٦)

– بسببک مخلوقاتی متذمّرة وشاكية كالناى، وبسببک تساوت الأيام عندنا فی الشتاء (دی) والربيع (فروردين).

– لقد أهنتمونی وأذلتمونی فی العالم ولوّنتم دوركم من دمی...

– الثقة بعهد الإله أمر سخيف وغباء والسير فی خطی مراده تضليل وافتراء.

– السموم فی خمره الملوّن، ومكافئته هو المنشار والدودة والصليب.

– لم يكن لنوح حيلة غير الدعاء، ولم يكن لكلمات الرجل المسكين أی تأثير ...

– ما دامت النبوة أقل مقاماً من الولاية فالمحبة ستسبّب المتاعب لكل نبی لا محالة.

وفقاً للأبيات السابقة، يبدأ الشيطان الحديث مع زردشت ويختبره من أجل ثنيه

عــن هداية البشــر نحو أهورا مزدا (الإله)، وإطاعتهم لــه، بحيث يقلّل من أهمية قصص الأنبيــاء ويجعلها فی مســتوى المناشــير والديدان والصليب: وهذا يــدل على نوع من الحرب النفســية والصراع بين الخير والشــر. فی الواقع إن الشک والترديد والتناقض هی من تكتيكات الشــيطان. ورد فی كتاب فنديــدا – أقدم كتاب قانون إيرانی – عن ســبب تدمير أرض نيســاية (جزء من أرض البارثيين): « نشــر الشــيطان القاتل فيها (تلک الأرض) وباء الشــک والترديد.» (نوری، ۱۳۹۸ش: ۲۸) التناقضات المزدوجة والتضاد لها حضور قوی فی القصيدة والأسطورة وستساعد بشكل كبير فی فهم القارئ للمحتوى. فی الأبيات السابقة، نواجه أيضاً مفاهيم ثانوية مثل إغواء الشيطان وعجزه أمام الخير والحقيقة والمحبة والنبوة والعودة إلى الفطرة. ومن ناحية أخرى، فإن التناقض بين زردشــت والشــيطان، هو نفس التناقــض بين الخير والشــر والتناقض بين التقوى والإغواء، وهو مــا يعبّر عنه بكلمات متضادة (فروردين ودی)، أی بقاء واســتمرارية حقيقة المــوت وحقارة الباطل والخ. (خلــج، ۱۳۹۷ش: ۸۷) وفقاً لنظرية يونغ والمعنى الثانوی للأبيات، يمكن رؤية الشــيطان وإغوائه فی "الظل" وباطن الإنســان، مما يقوده إلــى الباطل والابتعاد عن طريق الهداية، كما أن الشــيطان رمز للظلام والجهل والعقل اللاواعی، وعلى العكس مــن أهورامزدا، فهو النور والإدراک والعقل الواعی. فی كل لحظة، يؤثر الشــيطان فی شخصية وسلوک الإنسان من خلال ظله الداخلی. ويلی هذا الحوار، حوارٌ آخر يجريه هذه المرة إقبال على لســان زردشــت مع الشــيطان، ويصور الدور الواضح غير الملوّن للإنســان ويرى أن ذلک إنما يتحقق بتدمير الشيطان وإبادته ويرى طريقة إنقاذ البشر وخلاصه إنما يتحقق بمحاربة الظلمات:

نوردریای استوظلمت ساحلش　　هم چو من سیلی نزاد اندر دلش...
نقش بی رنگی که او را کس ندید　　جز به خون اهرمن نتوان کشید
خویشتن را وانمودن زندگی است　　ضرب خودرا آزمودن زندگی است

(اقبال، ۱۳۹۰ش: ۳٦٦)

– نور البحر وظلام الشاطئ، مثلی أنا لا يمكن صفعه فی قلبه.
– لا يمكن رسم الصورة الواضحة غير الملوّنة إلا بهدر دم الشيطان.

– تظاهر بنفسک حتی تعیش واختبار النفس بالضرر هو سنة الحیاة.

إبلیس

لفظة إبلیس مقتبسة من الکلمة الیونانیة دیابولوس[1]. لکن مؤلفی المعاجم العربیة أخذوها من أصل "الأبالیس" التی تعنی الیأس. (یاحقی، ١٣٩٨ش: ٧٧) فقد أشیر فی أساطیر ومعتقدات إیران القدیمة، إلی خلق إبلیس والمخلوقات الشیطانیة بشکل عام، والمخلوقات الشیطانیة هی«خلق شیطانی، مخلوقة من جسم یشبه الوزغ، رمادی ردیء، لا یحبّها الإله وهی منفورة (أورمزد) وتزعج راحة الخلق ولدیها دین سحری.» (بهار، ١٣٩١ش: ١٦٤) والمقصود من الدین السحری فی الجملة الأخیرة هو عمل السحر وتقالیده. إقبال أیضا له قصیدة فی "جاویدنامه" بعنوان"نمودار شدن خواجه اهل فراق ابلیس" (ظهور إبلیس صاحب الفراق) یصف فیها جسد إبلیس القاتم واللئیم:

ناگهان دیدم جهان تاریک شد　　ازمکان تا لامکان تاریک شد
اندرآن شب شعله‌ای آمد پدید　　از درونش پیر مردی برجهید
یک قبای سرمهای اندر برش　　غرق اندر دود پیچان پیکرش

(إقبال، ١٣٩٠ش: ٤٠٨)

– فجأة رأیت أن العالم أصبح مظلماً من کل مکان إلی لا مکان.
– فی تلک اللیلة ظهر قبس من النار ملتهب وخرج منها رجل عجوز.
– کان یرتدی رداءاً أزرقَ داکناً یغرق فی دخان جسده الملتوی.

جاء إبلیس فی القرآن الکریم، بمدلولات متعددة کالمستکبر والرجیم والمنبوذ والملعون (البقرة: ٣٠–٣٤، العمران: ٣٦، الأعراف: ١٢–١٥، الحجر: ١٧، ٣٤، إلخ.). استخدم الشاعر فی کتاب "رسالة المشرق" أسلوب السرد المتمثل فی توسیع المحتوی بأسلوب الحوار وقد أجری حواراً بین الشیطان والإله:

"نفی الإبلیس"

نوری نادان نیم، سجده به آدم برم　　او به نهاد است خاک، من به نژاد آذرم

1. Diabolos

می‌تپد از سوز من، خون رگ کائنات — من به دوُ صَرصَرم، من به غو تندرم...
پیکره انجـم زتو، گردش انجم ز من — جان به جهان اندرم، زندگی مضمرم
توبه‌بدن‌جان‌دهی،شوربه‌جان‌من‌دهم — تو به سکون رهزنی، من به تپش رهبرم
من ز تنک مایگان، گدیه نکردم سجود — قاهر بی دوزخم، داور بی محشـرم
آدم خاکی نهاد، دون نظر و کم سواد — زاد در آغوش تو، پیر شـود در برم

(المصدر نفسه: ۲۹۰)

– أنا لست بنور جاهل، کی أسجد لآدم إنه ینتمی إلی التراب، وأنا أنتمی إلی النار.
– ینبض من قلبی دم الکون، أنا بالنسبة إلیه إعصار، وصوتی کالرعد ...
– أنت خالق هیکل النجوم وأنا محرکها، حیاتی فی العالم خافیة غیر مرئیة.
– أنت تنفخ الروح فی الجسد، وأنا أمنحه الإحساس، منک السکون ومنی الخفقان.
– أنا لست بائساً عائلاً حتی أسجد، فأنا قاهر بلا جحیم وقاض بلاحدود.
– مخلوق ترابی دونی غیر متعلم، ولد بین ذراعیک، وسیشیخ بین ذراعی.

فی الأبیات السـابقة، بالإضافة إلی صناعة التلمیح والإشارة إلی القصص القرآنیة، یجلب إقبال تناقضات مزدوجة (تراب/ نار، الجسـم/ الروح، السـکون/ الخفقان، آدم من طین/ إبلیس من النار) وأیضاً نظریة الدلالة الضمنیة (لإنشاء مفهوم ثانوی)، یحاول الکشف عن شخصیة إبلیس.

فی هذه الأبیات، یسـتخدم إبلیس کلمة "تنک مایگان" (البائس الفقیر) مقابل قهره والأمر بالسـجود لآدم یعتبره نوعاً من التسـّول. هذا المحتوی یمکن النظر إلیه أیضاً من وجهة نظر "تلاقی الأضداد". فی الأبیات المتعلقة بأسطورة الخلق ووجود الشر والقوی الشـیطانیة، یحاول إقبال زیادة القوة الروحیة للإنسـان باستخدام "تلاقی الأضداد" أو "ولادة جدیدة". وبمساعدة هذا التناقض المزدوج بین العالم المادی والعالم العلوی، یروی جهود الشـیطان الذی یظهر فی شکل الناصح الحکیم، فی إغواء الإنسان للإشارة إلی ضعف الإنسان وخلقه من نطفة لا قیمة لها. عزز روح التبعیة الذاتیة فی قلب الإنسان، وبإغوائه إلی الخلود ورؤیة أرض جدیدة، تسـبب فی هبوط الإنسان. کما أن استخدام إقبال للمنظور العاطفی وتحفیز الحماسـة والحمیة للإنسان المعاصر مهمّ أیضاً ذلک لأنه

مــن أجل خلق اتحاد بين العقل الواعى والعقل الباطن (اللاواعى) وتنفيذ عملية التفرد، هناک عاملان مهمان للغاية، الأول هو الاهتمام بالجانب الأخلاقى والثانى هو الاهتمام بالعواطف البشــرية. ويحاول الشــاعر التغلب على الظل بداخله من خلال خلق وحدة أســطورية بين العقل اللاواعى للإنسان وأساطير الخلق، وأيضاً من خلال حمية الإنسان فى مواجهة إهانة الشيطان له.

إغواء آدم

کوثر و تسنیم بُرد، از تو نشاط عمل — گیر ز مینای تاک، باده‌ی آیینه فام...
خیز که بنمایــت، مملکت تازهای — چشم جهان بین گشا، بهر تماشا خرام
قطره بی مایهای، گوهر تابنده شو — از سر گردون بیفت، گیر به دریا مقام

(إقبال، ١٣٩٠ش: ٢٩١)

– إن التمســک بالوعود السماوية (الكوثر والتسنيم) يسلب الفرصة لتجربة مواهب هذا العالم، لذا فهو يدعو الإنسان للاستفادة من العوامل المحظورة فى الحياة (خذ المدامة الصافية كالمرآة من كرم السماء).

– قم وشاهد مملكة جديدة تفتح أعين العالم لأى متفرج فخور.

– أنت قطرة لا قيمة لها، عندما تهبط من السماء سيرتقى مقامک كالبحر.

جاء فى النصوص الزرادشتية، أن للإنسان، مثل عالم الخلق، ولادة مزدوجة، شكلية وروحية، وكل شــىء موجود فى العالم له جانبــان، سماوى ودنيوى. نقرأ فى "بُندهش": «قد احتفظ بخلق النعيم والجنة باعتباره عالماً علوياً وأنشــأ الخلق المادى (أيضاً أولاً) باســم العالم العلوى ثم قام بإنشائه مادياً.». (بهار، ١٣٩٧ش: ٩٧) أيضا، فى "الأفستا" نقرأ فى جزء "ويسپرد": «أبشركم للثناء، لــشريف وسيد سماوى وشريف مادى وعالمى، بشرى سارة لخيرة الحيوانات المائية، وخيرة الحيوانات فى القبو، و خيرة الطيور وجميع النفوس السامية الطاهرة منها..» (رضى، ١٣٩٦ش: ٣٠٤)

وهــذه العودة إلــى أصل الفطرة (الحالة الروحانية) أو الــولادة الجديدة تؤدى إلى تعزيــز "الــذات" أو العقل الواعى وتجعلهــا تهيمن على العقل اللاواعى أو الشــخصية

الداخلية لأن «الاتحاد مع الزمن الأزلي يمنح الشخص قوة روحانية هدفها ولادة رمزية جديـدة.» (إليادة، ۱۳۸۸ش: ۸۲)) فی هذه الأبيات، يشـير المعنى الثانوی لـ"قطرة لا قيمة لها" إلى خلق الإنسـان من حيوان منـوی لا قيمة له، الذی يمتلک القدرة على أن يصبـح جوهرة لامعة وإنسـاناً مثالياً فی حضور البارئ تعالـی. بنهج إيجابی للمفاهيم الثابتة والأبدية أی خلق الحالة الروحانية أو الفطرة، يلفت العلامة إقبال انتباه الإنسان المعاصر واهتمامه إلى قضية الخلق الهامّة، وبكشـف العدو اللدود للإنسـان، فإنه يجعل الإنسـان يدرک رغباته الداخلية والحسـية. بمسـاعدة هذه الرمـوز وتركيبها وإعادة تصويرها، يرسـم الطريق إلى الفردية. كتب قصائد مثل "بگو ابليس را" (أخبر إبليس). (إقبـال، ۱۳۹۰ش: ۵۳۵) و"ابليـس خاکی و ابليس غاری" (إبليـس ترابی وإبليس كهفـی). (المصدر نفسـه: ۵۳٦) وهی قصائـد تذكّر القارئ بقصة الخلق الأسـطورية. النقطة الجديرة بالملاحظة هی أن كلمتَی إبليس والشـيطان لهما شـخصيات منفصلة فی معظم الحالات. إقبال بمعرفته للفلسـفة، يعرف جيداً أنه من منظور الفلسفة، فإن شيطان النصوص الفارسـية القديمة يختلف عن شـيطان الفترة الإسلامية، بل شيطان النصوص القديمة، هو توأم أهورا مزدا، ولكن الشـيطان فی القرآن والنصوص الإسلامية، فهو من مخلوقـات الله وخلقه. «يمثّل إبليس إقبال أحياناً الغربيين وغطرسـتهم على الشـرقيين، وأحياناً يكون تجسـيداً للمسلمين العاصين والغافلين الذين يتفاخرون بعرقهم وقوميتهم أكثر من أی شیء آخر.» (مشهور، ۱۳۹۰ش: ۱٤٤)

يعتـبر إقبال الغرب كرمز لأعمى القلب والبصيرة وعبد الشـيطان ويعدّه أحد جنود الشيطان.

فرنگـی را دلی زیر نگین نیسـت　　متاع او همه ملک است و دین نیست
خداوندی کـه در طوف حریمش　　صدابلیس است و یک روح الامین نیست

(إقبال، ۱۳۹۰ش: ۵٤۲)

– الإفرنجی ليس جوهرة فی القلب، كل ممتلكاته ملكية وليست دينية.
– رب يطوفه مئة إبليس وليس فی طوافه روح الأمين.

يستخدم الشاعر الشيطان بكثرة فی ديوانه.

الشيطان

فى النصوص القديمة، يعدّ الشـيطان رمزاً للشر وله العديد من الحلفاء والقوى التى يمثلها إبليس على الأرض. والشـيطان أو الشـياطين هم مخلوقـات تحت قيادة إبليس، هدفهم تدمير جميع مخلوقات أهورا مزدا.

«أسطورة الشيطان مرتبطة بأسطورة التنين والثعبان والغول ورمزية للمزلاج والحجر الصحى ... الشيطان هو رمز كل قوى الوعى المزعجة والمظلمة والمضعفة لقوة الإدراك؛ الشيطان هو التورّط فى الغموض وعدم اليقين.» (شواليه، ١٣٨٥ش: ١٢١-١٢٣)

مـن وجهة نظر علم النفس، يمكن أن يكون الشـيطان رمزاً للظلام والاضطراب فى العالم المظلم داخل الإنسـان بحيث إن «السـواد والظلام هما رمزان للأسرار والمجهول والموت واللاوعى والنسـيان والسقوط.» على وجه التحديد يرتبط المبدأ الأنثوى، أى الأنيما واللاوعى بالظلام بسـبب الغموض والمجهول، وفـى المقابل يرتبط مبدأ المذكر -واعى الذات- بالنور.» (شميسا، ١٣٨٣ش: ٧٨)

ينتبه الشاعر فى ديوانه إلى أن دخول الأفكار الشريرة وعدم سيطرة الإنسان على نفسـه، يجره أحياناً إلى متاهات تؤدى به إلى الـزوال والهلاك فتنهض فى وجوده كل الرغبـات الرخيصة والمنحطة فيكون مسـتعداً لتحقيقها بأى ثمـن. عملياً، ينتصر "ظله" على وجوده بالكامل ولا يترك مكاناً لوجود النور والحقيقة فى قلبه وروحه، وفى هذه الحالة يصبح الإنسـان نفسه شـيطاناً أرضياً وفى نفس الوقت حقيراً، الظل فى قصائد إقبال هو سـلبى تماماً وليس له وظيفة إيجابية. يعتبر إقبال أن "النموذج الأصلى للظل" يكمـن فى العالم المادى للغرب وفى العالم الداخلى للإنسـان يتمثل فى اتباع الأفكار الغربية وتقليدها. إنه يعتقد أن السبيل إلى الخلاص من الشيطان وإبليس، هو اتباع عقل يطيع قلب الإنسان الصافى وطبيعته.

عقل اندر حكم دل يزدانى است چون ز دل آزاد شد شيطانى است

(إقبال، ١٣٩٠ش: ٤٦٨)

- العقل عندما يكون تحت سـيطرة القلب، يكون روحانياً وإذا ترك القلب، أصبح شريراً.

«غالباً ما يتطلب الوقوف فی وجه مطالب العقل اللاواعی الكثير من الوقت والصبر والقوة الأخلاقية، وهنا نری مدی التطور البشـری الذی يمثّـل قضية اخلاقية ... يقول يونغ إن المجال الحيوی للدين يعتمد علی المجال الحيوی لرموزها.

عندمـا نری كيـف تفقد الصين (ومن ثم الهنـد) ثقافتها القديمة تحـت التأثير القوی للعقلانية المادية، أخشـی أن يعانی الغرب المسـيحی أيضاً من نفس المرض، وهذا لأن الناس فقدوا اللغة الرمزية للغة الماضی، فهم لا يفهمون ولا يعرفون أين وكيف يطبقونه. ويدخل الله قلب الإنسان من خلال الرموز. (مورينو، ۱۳۹۷ش: ۴۲)

تجدر الإشـارة إلی أن سر النجاح فی العزلة الذی يتحدّث عنه إقبال ليس العقلانية الماديـة أو العقلانيـة الاقتصادية (القدرة علی التخطيط للحيـاة) ، ولكن معنی عقلانية القيامـة (القـدرة علی التخطيط للحيـاة الآخرة). من خلال التفكـير فی الجمل أعلاه وتركيز يونغ علی الاهتمام بنسيان الرموز بين المجتمعات المسيحية، ندرک مدی اهتمام إقبال بهذا المرض الشـامل المهـم. يصبح هذا المفكّر العظيم، فی ظـل التعاليم الدينية وآيات القرآن الكريم، مرشداً للإنسان اليائس المعاصر، تماماً مثل مرشده (الرومی).

بعد الشيطان، جاءت كلمة "الثعبان" علی نطاق واسع فی ديوان إقبال.

التنين

التنين لغة «ثعبان كبير، أفعی ضخمة ذات فم مفتوح واسـع والعرب يسمونه الثعبان .. حيوان أسطوری علی شكل سحلية ضخمة ذات ريشتين، تبصق ناراً من فمها وتختبئ وتحرس الكنوز تحت الأرض» (دهخدا، ۱۳۲۸ش: ۲۰۰-۲۰۱) فی الأساطير الإيرانية التی كتبت بناءً علی نصوص الفترة البهلوية، تم تقديم التنين باعتباره مخلوقاً أسـطورياً شـريراً أنشأه الأهريمن إلی جانب الثعابين والعقارب والسحالی والسلاحف والضفادع، وهو من جملة الحيوانات اللاذعة والسـامة. (قلی زاده، ۱۳۹۲ش: ۷۳) يعتبر إقبال أن الإنسـان الذی يعبد الشيطان ولا يبالی بهدف الخلق، وهو مطيع للشيطان، سيكون مثل تنين يسعی وراء الشر والسوء.

آبـروی زندگـی در باختـه چون خران باكاه وجو در ساخته...

شوره بوم از نیش کژدم خار خار　　مور او اژدر گز و عقرب شکار
صرصر او آتش دوزخ نژاد　　زورق ابلیس را باد مراد
(إقبال، ١٣٩٠ش: ٢٥٤)

– فقدت سمعة الحياة، مثل الحظيرة مبنية بالقش والشعير ...

– جلد البومة تحولت إلى أشواك شائكة من لدغة العقرب ونملـه كالثعبان يلدغ وكالعقرب يصيد.

– عاصفته من نار جهنم والريح بحاجة لزورق إبليس.

يتميز الظل بـ"ما لا يريد الشخص معرفته عن نفسه، مثل الخصائص الشخصية المنحطة أو الميول الأخرى غير المرغوب فيها. يظهر الظل فى الأحلام، كرمز مثل الثعبان الأسود. (مورينو، ١٣٩٧ش: ٤٤–٤٥) استخدم إقبال كلمة التنين والثعبان فى دور الظل أكثر من عشر مرات. يعتبر الإنسان الشرير أسوأ من التنين لأنه باتباع نصفه المظلم الجاهل يطيع الشهوات النفسانية والأفكار المنبوذة، فيقتصر نطاق رغباته كالماشية، على الحاجات الأساسية من الطعام والشراب والنوم.

«فى عملية التفرد، يتمتع كل من الواعى واللاواعى بحقوق متساوية.» (مورينو، ١٣٩٧ش: ٩٨) يتحدث إقبال أيضاً عن تعارضات مزدوجة بنفس الطريقة ويعتبر عملياً أن العقل الواعى واللاواعى متساويان، وبهذا النهج، يبذل جهداً جديرا بالثناء نحو الوحدة ويشير إلى مدى خطورة توسع العقل اللاواعى. والمخلوق الشيطانى الآخر فى شعر إقبال هو العفريت.

العفريت

«يسمّى العفريت فى الأفستا دَئِو[1] والهندى القديم يسمى ديوا[2] (اللغة الفارسية الوسطى ديو[3])، والتى تعنى الإله ... ولكن بعد ظهور زردشت وتقديم أهورا مزدا، أصبحت تسمّى الآلهة القديمة (ديوان) المضللين والشياطين ... تعتبر الديوان فى الأفستا

1. daeva
2. dev
3. v d

الآلهــة الزائفة أو مجموعة من الشــياطين أو الناس المشــركين والمفســدين.» (ياحقى، ١٣٩٤ش: ٣٧١)

«أفظــع "ديــوان" (العفاريت) هى الشــياطين التى تتعلق بالموت وهى: اســتويداد، ويزريش، واى باد، نسوش، والفصل الثانى عشر من بندهش وهى مخصصة للعفاريت ... إنها تسبب الألم والشيخوخة والمعاناة والمرض، وكثير منها جاثية فى الأبدان ... وصوت بعض الحيوانات، وخاصة الحيوانات الروحانية مثل الديوک والكلاب والخيول، تتسبب فى هروب الشــياطين والســحرة والجنيات، حتى صوت حوافر الخيول تجعلها تهرب.» (قلى زاده، ١٣٩٢ش: ٢٧)

العلامة إقبال اللاهورى فى كتابه "رموز بيخودى" (رموز الفناء) يتحدث عن وجود الشــياطين والجنيات فى الفكر البشرى ويعتقد أن الإنســان أسير الشكوک والأوهام وهو أســير لشيطان أفكاره وبمساعدة النبى والإله بإمكانه أن يحرر نفسه من براثن هذه المخلوقات الشــريرة .. وهذا هو تصورنا للطابع الســلبى للداخل أو الأنا، الذى يوضع فى النموذج الأصلى للظل.

منزل ديو و پرى انديشه‌اش از گمان خود رميدن پيشه‌اش

(إقبال، ١٣٩٠ش: ١٤٢)

أفكاره بيت الشيطان والجنى ومهنته الهروب من الشكوک والأوهام.

الشــياطين لونها أســود ومظهرها مرعب ومخيف وتظهر كأنهــا حيوانات ضارة مثل القرود والدببة والذئــاب والحيوانات الأخرى، ومن خصائصها المهمة العمل بالمقلوب. (صفارى، ١٣٩٦ش: ٨٣)) الشاعر يدين الرفقة مع العفاريت ويحذر الناس منها.

بزم با ديو است آدم را وبال رزم با ديو است آدم را مجال

(المصدر نفسه: ٤١٩)

الاحتفال مع الشياطين ويل، والقتال مع العفريت واجب على كل شخص.

«يعتبر إرنســت كاسيرير أن الإنسان مخلوق رمزى"ويتحدث يونج عن" قوة تصوير النفس البشرية". الرمزية متأصلة فى جميع الشعوب وجميع الثقافات ... كما أن اللاوعى يظهر دائماً فى شــكل رموز، وبمــا أن الفردية هى نظام حياة غــير عقلانية يتم التعبير

عنهـا من خلال رمـوز معينة، فإن معرفة هذه الرموز أمر ضـرورى لا محالة؛ ذلک لأن بمسـاعدتها، يتحقق الانسـجام والوحدة بين محتويات العقل الواعـى ومحتويات العقل اللاواعى. (مورينو، ١٣٩٧ش: ٣٩-٤٠)، يسـتخدم إقبال أيضاً الرموز الأسطورية فى تقديم أفكاره ويخلق اندماجاً ووحدة أسطورية للإنسان المعاصر. هذه الرموز الأسطورية تظهر أحياناً بشكل حيوانات برية وأحياناً كائنات شيطانية، مثل عفريت النوم و الكسل، عفريت الأكاذيب، وعفريت السحر، وما إلى ذلک التى يتحدّث عنها إقبال.

عفريت النوم والكسل

تم العثور على هذا العفريت فى الأفسـتا vaesta b وفى الفارسـية الوسطى sp b وهذا يعنى النوم والكسـل والحلم ... وبوشاسب هو "عفريت النوم والكسل" (صفارى، ١٣٩٦ش: ٢٠٣-٢٠٤) بحسب ديوان إقبال، فى معظم الحالات، "عفريت النوم الأنثى" تحتفظ بصورتها الشـيطانية وراء السحر والكسل ووضع الروح والطبيعة النقية فى نوم الغفلة وبهذه الطريقة تخلق المشـاكل فى طريق التنامى البشـرى ولا تزال على شـكل أسطورة:

چون به دریای او فرو رفتم　　کشتی عقل گشت طوفانی
خواب بر من دمید افسونی　　چشم بستم ز باقی و فانی

(إقبال، ١٣٩٠ش: ٣٣٤)

- عندما غرقت فى بحره، أصيبت سفينة العقل بالعاصفة.
- عصف بى النوم، وأغمضت عينى من كل شىء باقياً كان أم فانياً.

عفريت الكذب

يسخدم لفظ "دروغ" بمعنى الكذب فى الأفستا durogh (دروغ)، وبالفارسية القديمة، durogh (دروغ)، وفى الفارسية الزردشتية الوسطى، dro (درو) بمعنى الكذب. أصل هذه الكلمة "دروج" أو "دروج" يعنى الباطل والخداع. إنه أحد أعظم العفاريت الذى يأسر الإنسـان فى قبضته بسـبب الغضب. وقد وصف الكذب فى الأفستا، على أنه أسوأ سمة للإنسـان. (صفارى، ١٣٩٦ش: ٢١٣-٢١٤) فى عـدة حالات، تحدّث إقبال اللاهورى

باختصار عن الكذب ككيان زائف وشرير، وقد وظّف أصل الكراهية والخداع والكذب فى معنى الخوف واليأس والجنون، مما يجعل الشخص غير قادر على العيش:

لابه و مكارى و كين و دروغ اين همه ازخوف مى گيردفروغ

(إقبال، ١٣٩٠: ١٤٧)

– الأكاذيب والمكائد والأحقاد والأكاذيب كلها تنشأ من الخوف.

عفريت السحر

تظهر هذه الكلمة فى الأفستا باسم ta - y، فى الهندية القديمة tu- y (خيال وسحر)، وفى الفارسية الوسطى dg، وفى اللغة الفارسية الحديثة باسم جادو بمعنى السحر. الأفستا هو السحر بنفس المعنى كما هو عليه اليوم وقد تم إدانته بشدة واعتبر على أنه خطيئة كبيرة. وجاء فى الشاهنامه، إن السحر ليس فقط من عمل الشيطان والعفاريت، ولكن قد يلجأ البشر أيضاً إلى هذا العمل البغيض لتحقيق أهدافه.

فى عدة أبيات، ذكر العلامة إقبال السحر والشعوذة وأدواتهما، واعتبر أن العلم والمعرفة دون نور الهداية الإلهية فهو سحر:

اين تماشاخانه، سحر سامرى است علم بى روح القدس افسونگرى است

(المصدر نفسه، ٣٤٦)

– هذا المسرح هو سحر سامرى، العلم بدون الروح القدس هو سحر.

يسمى إقبال الشاعر الذى لا يتكلم عن الحق بالساحر الذى يسحر الناس بكلمات جميلة.

اى بسا شاعر كه از سحر هنر رهزن قلب است و ابليس نظر

(المصدر نفسه، ٣٦٣)

–كم من شاعر خطف قلوباً سحرها بفن سحره و ونظرته الشيطانية .

إذا لم توظف الإبداعات الفنة للإنسان فى طريق تعاليه وتفوقه ولم يتم استخدامها للسيطرة على الشخصية الداخلية والعقل الباطن، فستكون هذه الفنون والمواهب خطيرة جداً، وفى هذه الحالة يصبح الشخص مستعبداً للفن ومستعبدً لظله. «الشخص

الــذى أصبح عبــداً لظله يقف فى نوره المظلم و فى أى لحظة يســقط فى فخ نفســه.» (مورينو، ١٣٩٧ش: ٤٦) فى الواقع، يمكن للشــاعر أن يتصرف كســيف ذى حدين، إذا حقق الفردية يمكنه أن يجلب السعادة لنفسه ولأمته، وإذا لم ينجح فى معرفة نفسه وعقله الباطن وشخصيته المظلمة، سيدمّر نفسه ومجتمعه.

زافسون تودريا شعله زاراست هوا آتش گذار و زهردار است

(المصدر نفسه، ٢٩٥)

– بسحرک، البحر ملیء باللهیب، والهواء سام ومشتعل.

اســتخدم العلامة إقبال اللاهورى كلمة الســحر ٩ مرات ومرادفاتها، "افسون" ٣٤ مرة ، و"فســون" ٢٦ مرة ، و"افســونگر" بمعنى الســاحر ٣ مرات، و"جادو" (السحر) ٦ مرات، و"الطّلَسم" ٣٦ مرة و"دستان"، وهى مرادفة للسحر أيضاً، مرة واحدة. تظهر هذه الرموز المتكررة اهتمام الشاعر بالقوى الشيطانية والشر.

تا عصای لا اله الا الله داری به دست هر طلسم خوف را خواهی شکست

(المصدر نفسه: ١١٢)

– طالما أن لديک طاقة لا إله إلا الله، فسوف تكسر طلّسم الخوف مع كل تعويذة.

إن "القلب" هو مكان التجلى الإلهى، وإذا سكن الشيطان فى "القلب"، يصبح الإنسان أسيراً للشيطان، ويقترح إقبال طريقة كسر هذا الطلّسم بذكر "لا إله إلا الله". إن حضور القلب هذا، يقوى القوة الروحية والعقل الواعى. إنه يجعل الإنسان يتغلب على المخاوف والأفكار الســلبية. كما أن الاعتراف بالذنب والأســرار الخفية، هو ســبيل آخر لمعرفة الذات، وبمســاعدته ينقل الإنسان السر أو الســلوک غير الصحيح من العقل اللاواعى إلى العقل الواعى وينمّى نفســه، فالأديــان والمعتقدات القديمــة، باعتبارها مظهراً من مظاهر اللاوعى واللاوعى الجماعى، حررت الإنســان من شر ظله المكبوت وساعدته فى "معركة الخلاص" كى يتغلّب على ذلک الشرّ.

النتيجة

ترتبط قصائد وأعمال العلامة إقبال اللاهورى ارتباطًا وثيقاً بالقضايا الهامّة للروح

البشریة بسبب بصیرته الفکریة والفلسفیة وتمسّکه بالمدرسة الإسلامیة. ومن هذا المنطلق، فإنّ لها نقاطًا مهمّة ومشترکة مع نظریة یونغ النفسیة. یعتقد کلاهما أن طریقة التغلّب علی الأنا والظل والشخصیة السلبیة بالداخل، هی معرفة الذات من خلال الوصول إلی الفردیة وبتذکر النماذج البدائیة الأسطوریة، فإنهما یرشدان الإنسان إلی بدایة الوجود وأصله وهما یحییان الولادة الجدیدة داخل الإنسان. وفقاً للموضوعات التی تمت مناقشتها، نجد أن العلاقة بین الأسطورة والنموذج الأصلی أو البدائی واللاوعی الجماعی، هی علاقة مستمرة وهی کلها ذکریات أجدادنا التی ورثناها عبر أجیال عدیدة وهی مستودع لکل المخاوف والرغبات التی نحن غیر مدرکین لها وفی وقت الحاجة تسبب ردود فعل متساویة ومتشابهة فی المجتمعات المختلفة. إن الشاعر إقبال من خلال لعب دور المرشد الحکیم وباستخدام الرموز الشیطانیة بذکاء، مثل الشیطان و إبلیس، والعفریت وما إلی ذلک، بالإضافة إلی تذکیره لأسطورة الخلق، یکشف بأفضل طریقة ممکنة الظلام والمکان غیر المألوف لعقل الإنسان وشخصیته السلبیة الداخلیة (الظل) ویجعله متفرّداً. نظراً لأن هذه المخلوقات الشریرة هی جزء من أساطیر الأمم المختلفة، ونظراً لشمولیتها واتساعها، فإن لها نفس الوظیفة بین جمیع الأمم والمجتمعات، وبالنظر إلی طبیعة العقل اللاواعی الجماعی، یمکن الاستنتاج أن موقع هذه الرموز والنماذج البدائیة متساویة فی طبیعة کل البشر.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

الکتب

القرآن الکریم

اقبال لاهوری، محمد. (۱۳۹۰ش). *کلّیات اشعار فارسی مولانا اقبال لاهوری* (المجموعة الشعریة للعلامة إقبال اللاهوری). ط ۹، طهران: سنایی للنشر.

الیاده، میرچا. (۱۳۸۸ش). *مقدس و نامقدس* (المقدس وغیر المقدس). ترجمة: بهزاد سالکی، چ ۲، طهران: نشر علمی و فرهنگی.

آموزگار، ژاله. (۱۳۹۷ش). *تاریخ اساطیری ایران* (التاریخ الأسطوری فی إیران). طهران: سمت للنشر.

بقایی (ماکان)، محمد. (۱۳۸۵ش). *اقبال و ده چهره دیگر* (إقبال وعشرة وجوه أخری).

طهران: حكايتی ديگر للنشر.
بهار، مهرداد. (١٣٩١ش). *پژوهشی در اساطير ايران* (دراسة فی الميثولوجيا الإيرانية). ط٩، طهران: آگه للنشر.
ـــــــــــ(١٣٩٧ش). *فَرَنبَغ دادگی بُندهِش*. طهران: توس للنشر.
پاينده، حسين، (١٣٩٩ش). *نظريه و نقد ادبی* (النقد النظری والأدبی). ج١ ، ط٣، طهران: سمت للنشر.
حافظ، شمس الدين محمد شيرازی. (١٣٩٥ش). *ديوان حافظ*. قم: نسيم ظهور للنشر.
دهخدا، علی اكبر. (١٣٢٨ش). *فرهنگ لغت دهخدا* (قاموس دهخدا). طهران: جامعة طهران.
رضی، هاشم. (١٣٩٦ش). *اوستا كهن ترين گنجينه مكتوب ايران باستان* (الأفستا أقدم كنز مكتوب لإيران القديمة). ط١٠، طهران: بهجت للنشر.
شميسا، سيروس. (١٣٨٣ش). *داستان يک روح*. (أحداثال روح) ط٦. طهران: فردوس للنشر.
شواليه، ژان و گربران، آلن. (١٣٨٥ش). *فرهنگ نمادها* (ثقافة الرموز). ترجمة: سودابه فاضلی. ج٤، ط، طهران: جيحون للنشر.
صفاری، نسترن. (١٣٩٦ش). *موجودات اهريمنی در شاهنامه فردوسی* (الكائنات الشيطانية فی الشاهنامه لفردوسی). ط٢، كرج: جام گل.
فرودهام، فريدا. (١٣٤٦ش). *مقدمه ای بر روان شناسی يونگ* (مقدمة لعلم النفس عند يونغ). ترجمة: دكتر مسعود ميربها. طهران: اشرفی للنشر.
قلی‌زاده، خسرو. (١٣٩٢ش). *فرهنگ اساطيری ايران بر پايه متون پهلوی* (الثقافة الأسطورية لإيران على أساس النصوص البهلوية). ط٣. طهران: پارسه.
مورنو، آنتونيو. (١٣٩٧ش). يونگ، *خدايان و انسان مدرن* (يونغ، الآلهة والإنسان الحديث). ط١٠، ترجمة: داريوش مهرجويی. طهران: مركز للنشر.
نوری (آرياچهر)، احمد. (١٣٩٨ش). *وَنديداد: كهن‌ترين كتاب قانون ايرانيان* (فنديدا: أقدم كتاب قانون إيرانی). طهران: آرتاميس للنشر.
ياحقی، محمد جعفر. (١٣٩٨ش). *فرهنگ اساطير و داستانوارهها در ادبيات فارسی* (ثقافة الأساطير والقصص فی الأدب الفارسی). ط٦. طهران: فرهنگ معاصر.

الأطروحات

خلج، جواد. (١٣٩٧ش). «اسطوره و عناصر كهن در اشعار اقبال لاهوری» (الأساطير والعناصر القديمة فی قصائد إقبال اللاهوری). أطروحة ماجستير. كلية الآداب واللغات الأجنبية. كرج: جامعة آزاد الإسلامية.
عباس‌زاده، سميّه. (١٣٨٩ش). «عناصر اساطيری و حماسی در شعر شاعران برجسته مشروطه»

(العناصر الأسطوریة والملحمیة فی أشعار الشعراء الدستوریین البارزین). أطروحة ماجستیر. کلیة الآداب والعلوم الإنسانیة. إیلام: جامعة إیلام.
عیسی‌زادگان، لیلا. (۱۳۹۹ش). «بررسی شخصیّت های اساطیری، تاریخی و دینی در دیوان اقبال لاهوری» (دراسة شخصیات أسطوریة وتاریخیة ودینیة فی دیوان إقبال اللاهوری). کلیة الآداب واللغات الاجنبیة. تبریز: جامعة تبریز.

المقالات

شهبازی، حمیرا. (۱۳۹۵ش). «بررسی اساطیر خدایان در شعر اقبال» (دراسة أساطیر الآلهة فی شعر إقبال). الاجتماع الدولی الحادی عشر لجمعیة نشر اللغة الفارسیة وآدابها. شهریور. جامعة گیلان. صص ۱۲۴۳-۱۲۲۰
فاضلی، فیروز و پژهان، هدی. (۱۳۹۲ش). «تقابل های معنایی در اشعار اقبال لاهوری» (التناقضات الدلالیة فی قصائد إقبال اللاهوری). فصلیة "کاوش نامه" المحکمة. السنة ١٤. العدد ٢٧. صص ١٦٦-١٤٧
مشهور، پروین‌دخت. (۱۳۹۰ش). «ابلیس در شعر اقبال و عطار نیشابوری» (إبلیس فی شعر إقبال وعطار النیسابوری). فصلنامه تحقیقات تعلیمی و غنایی زبان و ادب فارسی (مجلة فصلیة للبحوث التربویة والغنائیة فی اللغة الفارسیة وآدابها). جامعة آزاد الإسلامیة فرع بوشهر. التسلسل ٨. الصیف. صص ١٥٣-١٤١
مقیسه، محمد حسن. (۱۳۹۵ش). «اقبال لاهوری و شیطان» (إقبال اللاهوری والشیطان). مطالعات ادبیات. عرفان و فلسفه (دراسات فی الأدب والتصوف والفلسفة). السنة ٢ العددان ٢ و١. صص ٤٢٦-٤٤٢

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی